

دراسات المستشرقين المعاصرين للغة العربية : عَرَضٌ ونقْدٌ⁽²⁾

حسن بشير صديق

عضو مجمع اللغة العربية بالخرطوم وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

أولاً - مدخل البحث:

هذا بحث يرتاد طريقاً غير مدللة؛ إذ أنه أول بحث في اللغة العربية يستهدف هذا الأفق الخاص بالمستشرقين المعاصرين، أما البحوث السابقة أكتعها في دائرة العصر الحديث والعصور السابقة له. في مسرد هذه البحوث التي عنيت بغير المعاصرين من المستشرقين: كتاب نجيب العقيقي، المسمى "المستشرقون". وكتاب زكريا هاشم، المعنون "المستشرقون والإسلام". وكتاب أحمد حسن الزيات؛ "تاريخ الأدب العربي"، المذيل بخاتمة في الاستشراق والمستشرقين. وكتاب محمود قاسم "نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الإكويني". ومؤلف عبد الرحمن بدوي "موسوعة المستشرقين".

إن للمستشرقين المستعربين أثر لا يتجاوز على اللغة العربية وآدابها. وهم ثلثة معتبرة؛ فيها: العلامة هاملتون جب، وكتابه تاريخ الأدب العربي. والأستاذ أرنولد أربري، وترجمته للقرآن الكريم للغة الإنجليزية. والأستاذ دينز جونسون، وترجمته - بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عز الدين إبراهيم - للأربعين النووية، وللأربعين القدسية. وضمن هذه الثلثة من رواد المستشرقين المستعربين الأستاذ كارل بروكلمان، وكتابه "تاريخ الأدب العربي" فتح باب التأليف في أدبنا وفق العصور الأدبية. وعن بروكلمان أخذ المنهج التألفي الأستاذ حسن توفيق العدل في كتابه "تاريخ الأدب العربي" ثم استهدى بروكلمان والعدل: السباعي بيومي، وأحمد حسن الزيات، وعمر فروخ، وشوقي ضيف.

ومع أنني معترف بأثر هؤلاء الرواد من المستشرقين إلا أنني أتجاوزهم وفق منهج البحث العلمي إلى أفق المستشرقين المستعربين المعاصرين، وأعني بهم داخل الدائرة الخاصة بمجهوداتهم الدراسية في اللغة العربية وآدابها، وفي التفكير اللغوي العربي.

وفي هذه الكوكبة المستهدفة بالدراسة ثلثة من الأساتذة المستعربين. و"المستعربون" مصطلح نقترحه بديلاً لمصطلح "المستشرقين" إذ أن الاستشراق يتمخض عن ثلاثة أنماط:

أ - المسلمون الدُوليون، وهم المستشرقون المسلمون، وقضيتهم تجديد وتقديم الخطاب الدُولي للدعوة الإسلامية. لمجرد التمثيل نذكر منهم؛ سيّد محمد نقيب العطّاس، وأشهر كتبه المسمى "الإسلام والعولمة". وموريس بوكاي، وله كتابان مشهوران، أولهما؛ "التّوراة والإنجيل والقرآن؛ دراسة مقارنة". وثانيهما؛ "أصل الإنسان". ومنهم الإنجليزي داوود كاون؛ الأستاذ بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن.

ب- المستشرقون: وهم المعتنون بدراسة تاريخ الشرق ولغاته على عمومها. ومن آثارهم الكبرى إنشاء كراسي اللغات الشرقية وأقسام اللغات الشرقية بجامعة أمريكا. ويدخل في هذه

الدائرة أعضاء الهيئات التدريسية بتلك الجامعات الأوروبية والأمريكية المهتمون والتخصصون في اللغات الشرقية.

ج- المستعربون: وهم المستشرقون المهتمون باللغة العربية دون غيرها من اللغات الشرقية الأخر؛ مهتمون بها تعلماً، وتعليماً وبحثاً. واللغة العربية عند هذه النّلة من المستعربين تشكّل مستهدفهم الدراسيّ الأساسي، وتشكّل ميدان بحوثهم العلميّة، كما تشكّل مزاجهم التّواصليّ. إنّ هؤلاء المستعربين المستهدفين بهذه الدراسة يمثلون ثلّةً معتبرةً في تاريخ اللغة العربيّة المعاصر، ولهم حضورهم المنهجيّ في مناقشة قضايا الساعة المتّصلة باللّغة العربيّة وآدابها وحضارتها.

ثانياً - مجهودات المستعربين المعاصرين في مجال اللّغة العربيّة وآدابها:

هذه مجهوداتٌ متنوّعة؛ فالمستعربون المعاصرون يمثلون حضوراً بحثيّاً واضح المعالم في مجالات: تحديث متن اللّغة العربيّة، والتّقريب بين اللّغة العربيّة الفصيحة واللّهجات، واللّغة الوظيفيّة، والتّعريب، واللّغة العربيّة في مواكبة مستجدّات العصر، وخصائص المعجم العربيّ، وترجمة المصطلحات إلى العربيّة، والتّخطيط اللّغويّ، وعولمة اللّغة العربيّة.

وفي قائمة هؤلاء المستعربين الدّارسين العربيّة الأساتذة: ل. ماسينيون، وجاك بيرك⁽³⁾، وفريديريكو كوريني⁽⁴⁾، والمستعرب الألمانيّ الدكتور رودلف زيلهايم، والمستعرب البريطانيّ داوود كاون؛ الأستاذ بمعهد الدّراسات الشّرقية بجامعة لندن. وفي هؤلاء المستعربين الرّومانيّ نيقولا دوبريشان؛ أستاذ اللّغة العربيّة، بقسم اللّغات الشّرقية؛ بجامعة بخارست. وقد قدّم دوبريشان خلال عشر السّنوات الماضية بحوثاً منهجيةً في ميدان لغة الإعلام، وفي ميدان التّخطيط اللّغويّ، وفي ميدان البحوث المتخصّصة في التّعريب.

ولهؤلاء المستعربين نتائجٌ بحثيّة متجدّدة في الميدان المستهدف بالدراسة، ولهم منهجٌ فكريّ يقمّ بعض جديدٍ في دراسة اللّغة العربيّة وآدابها. وفي دراساتهم ما يتفق مع دراساتنا، وما يختلف معها. وسواء كان الأمر اتفاقاً معنا أو اختلافاً؛ فإنّ هذه الدّراسات ذات قيمةٍ بحثيّةٍ معتبرة.

في قائمة هذه البحوث:

"بعض خصائص المعجم العربيّ"، للمستعرب الفرنسيّ ل. ماسينيون⁽⁵⁾. و"أبو عليّ القالي؛ الرّواية الشّفوية والكاتبّة استدلالاً بالأمثال العربيّة، للمستعرب الألمانيّ الدكتور/رودلف زيلهايم⁽⁶⁾. "ومن حاضر المجتمعات العربيّة إلى تراثها الكلاسيكي، ومن تراثها إلى الحاضر"، للمستعرب الفرنسيّ الدكتور جاك بيرك⁽⁷⁾.

وللمستعرب الإسبانيّ فريديريكو كورينيّ ثلاثة بحوث⁽⁸⁾:

- الأول - عولمة اللغة العربية في الغرب، قضية التعليم العالي.
- الثاني - أدلة جديدة على الأصول العربية لبنية التوشيح والزجل الدورية.
- الثالث - شواهد أندلسية وغيرها للعناصر الحميرية في العربية.
- أما المستعرب الأوزبكستاني الأستاذ الدكتور نعمة الله إبراهيموف فله جهودات مميزة في خدمة اللغة العربية والدراسات الإسلامية من حيث نقل المعارف العربية الإسلامية إلى لغته القومية. قد قرأت له بحثاً قيماً عن "التعليم واللغة العربية في أوزبكستان" (9). وهو الذي شارك بعضويته في اللجنة التي أنيط بها ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأوزبكية. وهو الذي أشرف علمياً على ترجمة صحيح الإمام البخاري إلى اللغة الأوزبكية.
- وأكثر المستعربين نتاجاً متجدداً في هذا الأفق الروماني الأستاذ الدكتور/ نيقولا دوبريشان، صاحب كتاب "صوتيات اللغة العربية وصرافها". وصاحب كتاب "علم دلالات الكلام العربي". وصاحب "القاموس العربي الروماني" ونيقولا صاحب معرفة متسعة بدوائر النشر الثقافي بالعالم العربي؛ فله منشورات بالقاهرة، والعراق، وتونس.
- وهو أستاذ عالم درب بأفاق البحث العلمي المتجدد؛ فقد نشر أكثر من عشرين بحثاً، تصب في ميدان خدمة العربية وآدابها. نذكر منها لمجرد التمثيل ستة البحوث التالية (10):
- أ - دور وسائل الإعلام في تحديث اللغة العربية وفي تفصيح العامية.
- ب- دور وسائل الإعلام العربية في انتشار لغة التعبير عن دلالات البوادي (Prefixes) في العصر الحديث.
- ج- المعرب في العصر الحديث.
- د- حول أنواع الألفاظ المعربة في اللغة العربية المعاصرة.
- هـ- طرق تنمية وتحديث متن اللغة العربية في العصر الحديث.
- و- التخطيط اللغوي ودوره في تطوير اللغة العربية وحمايتها.
- والعروض التفصيلية لجهود المستعربين المعاصرين في ميدان الدراسات الخاصة باللغة العربية وآدابها، والخاصة بالدراسات الإسلامية؛ مكانها (إن شاء الله) كتاب كبير جل مادته حاضرة، وإني لأسأل الله أن يعينني على إنجازه.
- واكتفي في هذا البحث المؤتمري وفق توصيفه بالعرض والمناقشة النقدية ليحثين فقط، يكون مكانهما؛ (ثالثاً) و(رابعاً) وفق الخطة الموسومة المتقدمة.
- ثالثاً- جهودات المستعربين المعاصرين في مجال اللغة العربية وآدابها؛ قراءة لنموذجين مختارين:

النموذج الأول - عولمة العربية في الغرب قضية التعليم العالي
للمستعرب الإسباني الدكتور فريديريكو كورينتي (11).

قد بادر الدكتور كورينتي في مستهلّ بحثه معلناً انتماءه الفكريّ والحضاريّ للغة العربيّة؛ فبشّر القارئ العربيّ بما توصل إليه اللغويّون الاجتماعيّون في بحوثهم الخاصة بمستقبل اللغات في العالم؛ وهم يعتبرون اللغة العربيّة "إحدى لغات العالم المضمون مستقبلها إلى أجلٍ غير مسمّى" (12).
وقد عدّد لذلك أسباباً، منها:

أ- شأن اللغة العربيّة العظيم في الحضارة والعلم العالميّين.

ب- العدد الكبير لأبناء الأمة العربيّة.

ج- اللغة العربيّة تمثل صلةً وثيقةً بين أطراف الأمة الإسلاميّة.

وفي بحث الدكتور كورينتي توضيحٌ لما يعنيه بعولمة اللغة العربيّة؛ "أيّ تعميم الاعتراف بكونها عالميّة في جميع أنحاء العالم، وانتشار العناية بها، واستعمالها في جميع أغراض الحياة الحديثة" (13).
وأطلق الدكتور كورينتي مفهوماتٍ عامّةً عن مصطلح "العولمة"؛ فهو ليس الأوّل في التّاريخ، وهو في إذاعته المعاصرة من استنباط الدوائر الرّاسماليّة التي تستهدف به أغراضاً ماليّةً واقتصاديّةً موافقةً لمصالحها، مع ادّعائها المصلحة العامّة. لكنّ المفاهيم العامّة عن المصطلح لا تدخل دائرة بحثنا، والذي نستهدفه من فهم العولمة ما يتصل بالتأثير على اللغة العربيّة وآدابها. ففي هذا الفضاء يقرّر البحث أنّ "العولمة ستؤدّي لا محالة إلى مزيدٍ من تقوية اللغات الكبرى السّائدة على القارات، الغالبة على الأسواق والأذواق والعقول والميول. وإلى أضعاف اللّغات الصّغرى" (14).

ويرى الدكتور كورينتي أنّ اللّغات الكبرى المنتصرة في العراك الدّولي ليست على درجةٍ واحدةٍ من الرّواج، فاللّغات الكبرى نفسها، كما يرى المتخصّصون في اللّغويّات الاجتماعيّة تنظيم في فئاتٍ. ونصّ تقريره للمسألة؛ "فيري المتخصّصون في اللّغويّات الاجتماعيّة أنّ هذه الطّائفة العليا منقسمةً إلى ثلاث فئاتٍ لا ينسب إلى أواها سوى اللّغات المعترف بدوليّتها عموماً، وقلّما يزيد عددها عن الواحدة أو الاثنتين في آن واحدٍ، شأن الإنجليزيّة في أيّامنا هذه، تليها اللّغات الدّوليّة الثّانويّة المتّسعة على عدّة أقطارٍ متفرّقة، أو الصّروزيّة نسبياً لبعض أغراض العلم أو التّجارة، كالألمانيّة للفيلسوف والمستشرق، أو الفرنسيّة لكافة المثقّفين. وتأتي وراءها فئةٌ ثالثةٌ تدرج فيها اللّغات المنحصرة في منطقةٍ جغرافيّةٍ واحدةٍ وإن كانت شاسعةً وتكلم بها مئات الملايين، مثل لغات الشّرق الأقصى الكبيرة؛ أيّ؛ الصّينيّة واليابانيّة والهنديّة" (15).

قرّر الدكتور كوربنتي أنّ العربيّة من النّاحية التّاريخية كان لها وجودٌ في الفئة الأولى، ثمّ الثّانية، ثمّ الثّالثة، ثمّ محلّيّة لا غير! وقد حاول كوربنتي أن يخفّف وطأة مثل هذا القرار على مشاعر الأمتّة العربيّة فجعله في صيغة سؤالٍ؛ ليكون مفتوحاً لتعدّد الإجابات، ومحور سؤاله يدور حول قضية الإهمال المعاصر للغة العربيّة حتّى في ديارها بالعالم العربيّ. ونصّ سؤاله: "أيعني هذا الإهمال أنّ العربيّة قد سقطت أيضاً من الفئة الثّانية من الفئات الثّلاث المذكورة أعلاه فتقهقرت إلى الثّالثة أيّ أنّها لا تزال مهمّة من حيث عدد النّاطقين بها، وما كان بها من شأن سابقٍ، إلا أنّها أمست تعدّ لغةً محلّيّة لا غير؟" (16)

وفي ختام بحثه يقرّر أنّ إعادة نشر العربيّة في الغرب أوّل شرط لنجاحها؛ خاصّة في ميدان التّعليم العالي. كما يقرّر أنّ مكانها المرموق عالمياً منوطاً باحترامها في العالمين العربيّ والإسلاميّ. النموذج الثّاني - "التّخطيط اللّغويّ ودوره في تطوير اللّغة العربيّة وحمايتها". للمستعرب الرّوماني الدكتور نيقولا دوبريشان (17).

عنوان بحث دوبريشان ذو أهمية كبيرة، وتتأتى هذه الأهميّة مكتسبةً من موضوع البحث؛ فنظرية التّخطيط اللّغويّ تحتلّ مكاناً بارزاً في علم اللّغة الاجتماعيّ المعاصر. ولهذه النّظرية قوانين موضوعيّة تحكّم التّطور اللّغويّ، وتنظّمه، وتقتن له.

ويتأتى ما يشير إليه بحث دوبريشان وما يستهدفه من خلال المؤسّسات المهمّة بالشّأن اللّغويّ، وفي قمّتها المجامع العلميّة واللّغويّة، التي أدّت دور المخطّط اللّغويّ بجدارةٍ في العديد من الدّول الأوربيّة في العصر الحديث.

أمّا بالنّسبة للعالم العربيّ فقد ظهرت المجامع العربيّة الرّائدة في النّصف الأوّل من القرن العشرين. وكان ظهورها بالتّتابع: دمشق والقاهرة وبغداد وشمل عملها تقنين اللّغة الفصحى، وتذويب الفوارق بينها وبين العامّيّات، ووضع المصطلحات لمختلف ميادين العلم والتّقنيّة الحديثة، وتأليف القواميس على مختلف أنواعها. وأشهر هذه القواميس: المعجم الوسيط، والمعجم الكبير الذي لمّا يكتمل بعد؛ [وفق لحظة تقديم البحث في 23 من مارس 2005]، وكلا المعجمين المذكورين صادرٌ عن مجمع القاهرة. ولمكتب التّعريب في الرّباط دورٌ بارزٌ في سبيل توحيد المصطلحات.

ويرى دبريشان أنّ مجمع اللّغة بالقاهرة أهمّ مخطّط لغويّ عربيّ تجاه الألفاظ المعرّبة. كما يرى أنّ التّطورات في قطاع المعجم جرّت في العصر الحديث بوتائر سريعة جدّاً لم تُتخّ فرصةً للمخطّطين أن يستبقوها بالبدائل الأكثر مناسبةً للغة العربيّة. وقد يتدخّل المخطّطون بعد فوات الأوان، فنجد

اللفظ الأجنبيّ دخل العربيّة بصورته الأساس، أو تعايش مع اللفظ العربيّ الأصيل؛ مثل: المصرف والبنك، والشرطة والبوليس.

وفي بحث دوبريشان دعوة إلى تدخّل المخطّط اللّغويّ العربيّ في الوقت المناسب؛ لتنظيم ظاهرة من الظواهر اللّغويّة؛ لأنّ محاولة استبدال الألفاظ المستعارة بعد شبع معرفتها يظلّ أمرًا بعيد المنال. لكنّه يرى أنّ تدخّل المخطّط اللّغويّ العربيّ كان وما زال محدودًا دون المبتغى، خاصّة في مجال إيجاد الوسائل والطّرق من أجل التّعبير عن معاني السّوابق واللّواحق في اللّغات الأوربيّة. وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ جلّ التّفاصيل في بحث دوبريشان، الخاصّة بمسألة السّوابق واللّواحق؛ نقلها دوبريشان عن الدّارس العربيّ؛ التّونسيّ محمّد رشاد الحمزاوي⁽¹⁸⁾.

وفي فكر الدّكتور دوبريشان "أنّ التّطوّرات التي حصلت في المعجم العربيّ في العصر الحديث تثبت الحقيقة العامّة؛ أنّ اللّغة تتطوّر في ضوء القوانين الموضوعيّة الملازمة لنظامها، لكنّ المخطّطين اللّغويّين يستطيعون أن يتدخّلوا بل وينبغي أن يتدخّلوا بوصفهم مقنّنين، وأنّ فرص نجاحهم تتوقّف على مدى اكتشافهم واحترامهم للتّغيرات الطّبيعيّة التي تحدث في اللّغة باستمرار؛ لأنّ مستخدمي اللّغة هم أصحاب القرار في آخر الأمر"⁽¹⁹⁾.

رابعاً- مناقشة نقدية لمعالجات المستعربين المعاصرين لقضايا اللّغة العربيّة وآدابها؛ من خلال قراءة النّمودجين المختارين.

1- مناقشة النّمودج الأوّل؛

"عولمة العربيّة في الغرب قضية التّعليم العالي".

للمستعرب الإسبانيّ الدّكتور فريديريكو كورينتي

هذا النّمودج للمستعرب الإسبانيّ المتألّق في البحث العلميّ باللّغة العربيّة، والمكثّر في ميدان التّأليف، وتحقيق التّراث، والترجمة، وبحوث المؤتمرات؛ فهو صاحب ترجمة المعلّقات السّبع إلى اللّغة الإسبانيّة، وكذلك ترجمة "عودة الرّوح" لتوفيق الحكيم. فهو معرفةً بالعربيّة واثقٌ ممتدّة من التّراث إلى المعاصرة. وكورينتي هو صاحب "القاموس العربيّ الإسبانيّ" و"القاموس الإسبانيّ العربيّ".

بدءًا لمناقشته أقرّ بأنّي احترم قامته العلميّة السّامقة، وأقدّر انتماءه الفكريّ والحضاريّ والبحثيّ للّغة العربيّة، وأرحّبُ بهذا الانتماء.

وفي مناقشتي لبحثه:

أ - أمّن الدكتور كورينتي على ما توصل إليه اللغويون الاجتماعيون من أنّ العربيّة إحدى لغات العالم المضمون مستقبلها إلى أجل غير مسمّى.

وإنّني أتحمّض على قبول ذلك؛ فالأجل غير المسمّى قد يسمّى في آنٍ من الأوان. لكنّ العربيّة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فهي لغة الدّين الخاتم للرّسالات، وهي محفوظةٌ بحفظ القرآن الكريم، كتاب الرّسالة الخاتمة؛ "إنّا نحن نزلنا الذّكر وإنّا له لحافظون"⁽²⁰⁾.

وقد عدّد كورينتي أسباباً لكون العربيّة إحدى لغات العالم المضمون مستقبلها، وهي أسبابٌ مقبولةٌ في جملتها، لكنّها لم تشمل على طائفة من الأسباب ذات الأهمية؛ مثل: العدد الكبير للمسلمين الدّوليين الذين يتعلّمون العربيّة لفهم دينهم الإسلام، ولإتقان ثلاثة مصادر الأساس لهذا الدّين: القرآن الكريم، والحديث القدسيّ والنّبويّ، وفكر المسلمين المتجدّد المرتبط بمصدريّ الأساس.

ومن هذه الأسباب ذات الأهمية أنّ العربيّة موقعها في الصّدر بالنسبة لتجديد وتقديم خطاب الدّعوة الإسلاميّة، وأنّها لغة النّصّ القرآنيّ؛ مصدر الأساس للإسلام.

ب فسّر كورينتي ما يعنيه بعولمة العربيّة بتعميم الاعتراف بها دوليّاً، وانتشار العناية بها، واستعمالها في جميع أغراض الحياة الحديثة.

ولكنّي لا أرى إضافة العربيّة إلى العولمة "عولمة العربيّة" فالعولمة مصطلحٌ خاصٌ له مداخل متعدّدة ليس من بينها خدمة اللّغة العربيّة. ولكن من الممكن أن يُقال: اللّغة العربيّة عالميّة في عصر العولمة. وما ذهب إليه كورينتي بخصوص الاستعمال الدّوليّ للعربيّة، وانتشار العناية بها، واستخدامها في مناشط الحياة الحديثة؛ أمرٌ نثمّنه، ولكنّه لن يأتى إلا بسياسةٍ لغويّةٍ عربيّةٍ تتبناها كلّ الدّول العربيّة، في مجال التّعليم، والتّدريب، والبحث العلميّ المتقدّم، والخطاب السّياسيّ العربيّ مكتوباً ومنطوقاً. نريد على سبيل المثال من أكتع سفاراتنا العربيّة بالخارج أن تحمل معها هذا الهمّ الوطنيّ الثّقافي والحضاريّ؛ نريد في البنية الأساس لأيّ سفارةٍ عربيّةٍ مكتبةً عربيّةً ورقيةً وإلكترونيّةً ومتلفزةً، كما نريد مختبراً للصّوتيات العربيّة، ومنهجاً تنفيذياً لتعليم العربيّة للناطقين بغيرها من خلال دوراتٍ ابتدائيةٍ ومتوسطةٍ وتقديميّة.

ج- في بحث كورينتي أنّ اللّغات العالميّة المنتصرة تنتظم في ثلاث فئاتٍ وليس من بينها العربيّة إلا من ناحيةٍ تاريخيّةٍ، أمّا الآن فهي لغةٌ محليّةٌ ليس غير، وفي عرضه هذا نظراً، حيث إنّ العربيّة بحكم المتحدّثين بها، وحكم أنّها لغة القرآن الكريم، ولغة تجديد وتقديم خطاب الرّسالة الخاتمة لا يمكن أن تكون محليّةً؛ لأنّ الرّسالة في أساسها رسالةٌ عالميّةٌ "وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين"⁽²¹⁾ و"أرسلناك للنّاس رسولاً"⁽²²⁾.

على أنني اعترف بأن هناك قصوراً وإهمالاً من فعل أمتنا العربية التي غابت عن فكرها السياسة اللغوية. وأعترف أن منصب اللغة العربية المرموق عالمياً منوطاً باحترامها أولاً في العالم العربي، ومنوطاً برسم سياسة لغوية تتبناها كل الدول العربية. ويتبناها الخطاب القومي الرسمي مكتوباً ومنطوقاً.

2- مناقشة النموذج الثاني:

"التخطيط اللغوي ودوره في تطوير اللغة العربية وحمايتها"

للمستعرب الروماني نيقولا دوبريشان

صاحب هذا النموذج يمثل حضوراً بحثياً واضح المعالم في مجالات متعددة، خاصة في مجالات لغة الإعلام، والتعريب، والتخطيط اللغوي.

وهو أستاذ اللغة العربية، بقسم اللغات الشرقية، بجامعة بخارست. وقد قدم دوبريشان خلال عشر السنوات الماضية بحثاً منهجياً متجددً ورافدً لتطوير البحث العلمي باللغة العربية. وهو واحد من المؤلفين المكثرين المجيدين، وقليل من يكثر ويجيد.

وفي نبت مؤلفات دوبريشان:

أ- صوتيات اللغة العربية وصرّفها.

ب- علم دلالات الكلام العربي.

ج- القاموس العربي الروماني الصغير.

د- الأدب العربي، مع تحليلات وتعليقات باللغة الرومانية، في 15 مجلداً.

لن أستطيع أن أقول إن هذه الإضاءة تستكشف أننا ناقش قاممة سامعة في المعرفة باللغة وأدبها. وهي مناقشة تعمد إلى فضاء بحثه المسمى "التخطيط اللغوي ودوره في تطوير اللغة العربية وحمايتها"، وتستهدف المناقشة هذا البحث ليس غير. وفي هذه المناقشة:

أ - مسألة موضوع البحث: "التخطيط اللغوي...". تصادف مني هوى؛ فقد دعوت لذلك في

مؤتمرات:

- الندوة الدولية؛ المعاجم العربية الواقع والآفاق، سبتمبر 2003م، جامعة الحسن الثاني بالدار

البيضاء - المغرب.

- الملتقى المغاربي؛ الدراسات الصوتية وقضايا المعجمية العربية، سبتمبر 2006م، الجزائر.

- اللغة العربية والعولمة، نوفمبر 2008م، جامعة مالانج، إندونيسيا.

- الملتقى الدولي للتأليف المعجمي، إبريل 2010م، الجزائر.

ولذا اعتقد أنه عنوانٌ مطابقٌ للموقف العربيّ، الذي نسعى أن تستوعبه السياسة اللغويّة، بخططها الدائمة، وخططها المرحليّة، وإنني أسعى غير مواكّلٍ أن تكون سياسة التّخطيط اللّغويّ قوميّةً حاضرةً في جميع البلاد العربيّة، ومؤلفةً وفق العقل الجماعيّ للأمة العربيّة، وموظفةً لخدمة اللّغة المشتركة الفصيحة؛ من أجل تأكيد الضّمانات الكافية لحمياتها، ومن أجل السّعي بها للتّأصيل، والتّطوير، ومواكبة العصر.

على أنّه علينا نحن العرب أن نعي أنّ نظريّة التّخطيط اللّغويّ تحتلّ مكانةً بارزةً في علم اللّغة الاجتماعيّ على النّطاق الدّوليّ؛ وللنّظريّة قوانين موضوعيّة تحكم وتنظّم التّطور اللّغويّ، وتقتنّ لذلك؛ كما قرّر دوبريشان في بحثه المستهدف بالمناقشة.

ب- أكّد دوبريشان في بحثه أنّ المجامع العربيّة الرّائدة في دمشق والقاهرة وبغداد؛ قد أنشئت في النّصف الأوّل من القرن العشرين، وأحدثت أثرًا في خدمة اللّغة العربيّة، خاصّةً في مجالات: التّعريب، والمصطلح، والمعجم. وذكر مع ثلاثة المجامع الرّائدة، مكتب التّعريب بالرباط.

ونلاحظ هنا أنّ هناك كوكبةً من المؤسّسات النّظيرة قد تمّ إنشاؤها بعد إنشاء المجامع الرّائدة، وتكاد هذه المؤسّسات تشمل كلّ البلاد العربيّة مع اختلاف المسمّيات. ومنها على سبيل المثال: الأكاديميّة المغربيّة، والمجمع الجزائريّ للّغة العربيّة، ومجمع اللّغة العربيّة السّوداني، ومجمع اللّغة العربيّة الأردني، ومجمع اللّغة العربيّة بالقدس، والمنظمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، والمنظمة الإسلاميّة للتّربية والثّقافة والعلوم.

على أنّه ينبغي أن يُدرك أن هذه المؤسّسات ابتعها؛ الرّائدة والنّظيرة ذات صبغةٍ وطنيّةٍ أساسها خدمة اللّغة العربيّة في القطر المعني الذي يمول المؤسّسة ويرعاها. ولا استثنى من ذلك إلاّ اتّحاد المجامع العربيّة؛ فصورته النّظريّة قومية، ولكنّها صورة ناقصة، لا تمثّل كلّ أقطار الوطن العربيّ.

والحل لهذا الإشكال؛ إنشاء المجمع القوميّ، ويضمّ مجلسه أربعين عضوًا، نقترح تشكيله من ثلاث طوائف: الطائفة الأولى اثنان وعشرون عضوًا يمثّلون الدّول العربيّة؛ عضو واحد لكلّ دولة. والطائفة الثّانية ثمانية أعضاء تختارهم الجامعة العربيّة، من خلال لجانٍ عمليّةٍ رفيعة المستوى لتمثيل العلم العربيّ القوميّ. والطائفة الثّالثة عشرة أعضاء، يختارهم المجلس في أوّل اجتماع له من قاماتٍ علميّةٍ رفيعة المستوى في اللّغة العربيّة، وفي مختلف تخصّصات الفنون والعلوم.

ونقترح أن يكون المجتمع القومي تحت مظلة الجامعة العربيّة، وأن يُعني بالتّأصيل والتّطوير ومواكبة العصر للّغة العربيّة. وأن يكون في صلب مهامه إنجاز المعجم التاريخي، وإنجاز المعاجم

المتخصصة، والتعريب الشامل للتعليم بالوطن العربي، ورسم السياسة اللغوية القومية، وتوحيد المصطلحات، وتوحيد مصدر التشريع اللغوي.

ج- قرّر دوبريشان في بحثه أنّ مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة أهمّ مخطّطٍ لغويّ عربيّ تجاه الألفاظ المعرّبة.

هذا وصفٌ صحيحٌ للحقيقة الواقعة؛ لكنّه ليس مبنغي التّخطيط اللّغويّ والسياسة اللّغويّة العربيّة المستهدفة على النّطاق القوميّ؛ فالنّخطيط اللّغويّ الذي يرسم الخريطة اللّغويّة لآبد أن ينطلق من الأفق القوميّ. ولذا نؤثر أنّ نقترح المؤسّسة الموازية للمطلوب. وهذه المؤسّسة نراها في مجمع اللغة العربيّة القوميّ؛ وفق توصيفه الذي قدّمت في (ب) من هذه المناقشة.

د- إنني أرحّب بدعوة دوبريشان إلى ضرورة تدخل المخطّط اللّغويّ العربيّ في الوقت المناسب للتعريب؛ فاستبدال الألفاظ المستعارة من لغاتٍ آخر بعد شيوعها يظلُّ أمرًا عسيرًا. وإنني أرى أن يكون هذا التّدخل المستهدف من خلال الأفق القوميّ، وفق السياسة اللّغويّة العربيّة الموحّدة، ومن خلال المؤسّسة اللّغويّة التّنفيدية الرّئيسية؛ مجمع اللغة العربيّة القوميّ، الذي دعونا إلى إنشائه تحت مظلة الجامعة العربيّة؛ ليمثّل العلم اللّغويّ العربيّ لأبتع أقطار الوطن العربيّ الكبير.

ه- يرى دوبريشان في بحثه موضوع المناقشة؛ أنّ فرص نجاح المخطّطين اللّغويين متاحة، لكنّها متوقّفة على مدى اكتشافهم واحترامهم للتّغيّرات الطّبيعيّة التي تحدث في اللغة باستمرار. وأرى أنّ فرص نجاح المخطّطين اللّغويين العرب تتوقّف على معرفتهم بطبيعة اللغة العربيّة، من حيث تأصيلها، وتطويرها، ومقدرتها على مواكبة سائر مستجدات العصر. كما أرى أنّ المدخل الأساس لنجاح المخطّطين العرب؛ فهمهم لطبيعة ارتباط اللغة العربيّة بتجديد وتقديم خطاب الدّعوة الإسلاميّة؛ الرّسالة الدّوليّة الخاتمة. ويقينهم أنّ اللغة العربيّة خالدة بخلود الكون؛ لارتباطها بالنّصّ القرآنيّ المحفوظ بأمر الله تعالى.

خامسا - خاتمة البحث:

للمستشرقين المعاصرين الذين أطلقنا عليهم في البحث مصطلح المستعربين؛ لهم مجهوداتٌ مقدّرة في ميدان خدمة اللغة العربيّة وآدابها. وقد نتفق معهم في منهج تحليلهم، واستنباط نتائجهم، وقد نختلف معهم. وسواء أكان هذا الموقف أو ذلك؛ فتظلّ بحوثهم إضافةً حقيقيةً للبحث العلميّ في ميدان اللغة العربيّة عامّة، وفي ميدان التعريب، والمعجم، والسياسات اللّغوية بصورةٍ خاصّة.

وفي بحثي هذا وفق أفقه المستهدف بعض جديد، وأفرز ثلثة من النتائج، ومجموعةً من التوصيات. والمنهجية العلمية تخصص كلمة الختام للعرض الموجز لذلك.

ففي جديد هذا البحث أنه ارتاد طريقاً غير مذللة؛ إذ أنه أول بحثٍ يُنشر في الموضوع المستهدف بالدراسة فيما أعلم. وفي جديده التفریق بين ثلاثة المصطلحات وشيجة الارتباط بالقضية موضوع الدرس، وهي: المستشرقون، والمسلمون الدوليون، والمستعربون.

ومن هذا الباب نشر مناقشة علمية لقامنين كبيرتين، هما: المستعرب الإسباني فريديكو كورينتي، في بحثه المسمى "عولمة اللغة العربية في الغرب قضية التعليم العالي"، والمستعرب الروماني نيقولا دوبريشان، في بحثه المعنون "التخطيط اللغوي ودوره في تطوير اللغة العربية وحمايتها". وقد رأيت أن المصطلح المناسب للغة العربية كونها لغة عالمية؛ لأنها لغة الرسالة العالمية الخاتمة، ولغة الكتاب السماوي الخاتم - وتحرير المصطلح على هذا "عالمية اللغة العربية" بدلاً من "عولمة اللغة العربية" المحرر عنواناً لبحث كورينتي.

وفي نتائج هذا البحث:

أ- هناك فرقٌ بين المستشرقين المهتمين بلغات الشرق وآدابها، وبين المستعربين المستهدفين بدراساتهم اللغة العربية وآدابها؛ فهي تمثل تعلمهم وتعليمهم، وتمثل ميدان بحثهم، كما تمثل توجههم الحضاري.

ب- النظرة البحثية المدققة تجعل الاستشراق في ثلاث دوائر: المستشرقون، والمسلمون الدوليون، والمستعربون.

ج- للمستعربين المعاصرين حضورٌ بحثيٌ مميزٌ في مجالات: تحديث متن اللغة العربية، والتعريب، والمصطلحات والسياسة اللغوية.

د- بحوث المستعربين المعاصرين نصنّفها في ميدان خدمة اللغة العربية، سواء اتّفقنا معهم على نتائج دراساتهم أو اختلفنا في ذلك؛ فالمهم هنا إثارة القضايا البحثية.

هـ- لا تأتي النظرة إلى اللغة العربية بوصفها لغةً دوليةً إلا إذا كانت نقطة الاهتمام الأساس تنطلق من موطنها الجوهر؛ العالم العربي، والعالم الإسلامي.

و- منهجية السياسة اللغوية القومية، وخطتها المرحلية والدائمة؛ حاجة ملحة لتأصيل العربية، وتطويرها ومواكبتها للعصر.

ز- إنشاء مجمع اللغة العربية القومي بات ضرورة؛ لتكريس السياسة اللغوية القومية. على أن ينشأ تحت مظلة الجامعة العربية؛ لتأدية واجب وتنفيذ السياسة اللغوية القومية، خاصة في ميادين:

توحيد مصدر التشريع اللغوي، وتوحيد المصطلحات، والتطوير القومي للعربية الفصيحة المشتركة، وإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.

ح- لا بد من تدخل المخطط اللغوي القومي عند اللحظات الأوائل لظهور الألفاظ، قبل أن يكون أمر استبدال الألفاظ المستعارة - بعد إذاعتها - أمراً عسيراً بعيد المنال.

ط- السياسة اللغوية القومية الرشيدة تعتمد اللغة العربية في موقع الصدارة، خاصة في تجديد وتقديم خطاب الدعوة الإسلامية للعالمين؛ فهي لغة الرسالة الخاتمة، ولغة القرآن الكريم مصدر الأساس لهذا الخطاب. وهو مصدر محفوظ طوال الدهر، بأمر الله تعالى.

وفي قائمة التوصيات:

- أ- يوصي المؤتمر جامعة الدول العربية أن تقدم لمؤتمر القمة القادم مشروع السياسة اللغوية القومية، ومشروع مجمع اللغة العربية القومي.
- ب- يوصي المؤتمر وزراء التعليم، ووزراء التعليم العالي، بالوطن العربي، أن يرسموا خطة مشتركة للتعريب الشامل للتعليم على نطاق كل الدول العربية مجتمعة ومجمعة.
- ج- يوصي المؤتمر الدول العربية قاطبة أن تكون العربية لغة الخطاب العربي الرسمي، إلا في المواطن التي يتعدّر فيها ذلك؛ أن تكون العربية لغة الملوك والرؤساء والوزراء والسفراء.
- د- يوصي المؤتمر وزراء الخارجية العرب بأن تكون السفارات العربية في الدول الأجنبية ذات رسالة لغوية حضارية؛ تضم مكتبة ورقية، ومكتبة إلكترونية، ومعهداً لتعليم العربية لغير العرب.

سادساً - هوامش البحث:

- 1- ضمن فعاليات المؤتمرات العلمية التخصصية لكلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم.
- 2- ضمن المحور الموضوعي الأول؛ آفاق البحث العلمي المعاصر في اللغة والأدب.
- 3- ل. ماسينيون، وجاك بيرك؛ مستشرقان مستعربان فرنسيان، أولهما أبداع بحثاً متقدماً باللغة العربية الفصيحة، منها: خصائص المعجم العربي، وخواطر مستشرق في التضمنين. [العددان 7، 8 من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 53 و 1955م] وثانيهما الدكتور جاك بيرك، الحاصل لثلاثة من الأوسمة العربية من المغرب، وتونس، وسوريا. والحاصل على جائزة بغداد الثقافية العربية 1983م.
- 4- هو المستعرب الإسباني المتألق في البحث العلمي باللغة العربية، والمكثّر في ميدان التأليف، وتحقيق التراث، والترجمة، وبحوث المؤتمرات؛ فهو صاحب ترجمة المعلقات السبع "إلى اللغة الإسبانية" وكذلك ترجمة "عودة الروح" لتوفيق الحكيم. فهو معرفة ممتدة من التراث إلى المعاصرة. وهو صاحب: "القاموس العربي الإسباني" و"القاموس الإسباني العربي".
- 5- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد السابع، 1953م.
- 6- المرجع السابق، العدد 59، 1986.
- 7- المرجع السابق، العدد 58، 1986م.
- 8- انظر بالترتيب الأعداد: 106، 87، و76؛ من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وتاريخها التّوالي: 2005م، 2000م، 1995م.
- 9- ألقى الدكتور نعمة الله إبراهيموف هذا البحث، في مارس 2004م، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ضمن بحوث مؤتمر الدورة السبعين.
- 10- مجلة اللغة العربية بالقاهرة، الأعداد: 33/ 1974م، 37/ 1976م، 94/ 2001م، 102/ 2000م، 106/ 2005م، ومخطوطة العدد 2010/115م.

- 11- مقال كورينتي؛ عولمة العربية ... منشور بالعدد 106، من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الصادر في نوفمبر 2005م.
- 12- المصدر السابق، ص 111.
- 13- المصدر السابق، ص 111.
- 14- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 106، نوفمبر 2005. ص 112 و 113.
- 15- المصدر السابق، ص 113.
- 16- المصدر السابق، ص 114.
- 17- بحوث مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الدورة الحادية والسبعون، مارس 2005م. وانظر؛ ص 121، من العدد 106 لمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الصادر في نوفمبر 2005م.
- 18- كتابه : L, Acabemie de Langu Arabe de Caire، ص 483 و 486. وانظر مجلة اللغة العربية بالقاهرة، العدد 106، صادر في نوفمبر 2005م، ص 127 و 128.
- 19- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 106، نوفمبر 2005م، ص 128.
- 20- سورة الحجر، الآية 9.
- 21- سورة الأنبياء، الآية 107.
- 22- سورة النساء، الآية 79.

سابعاً - عرض المصادر والمراجع:

* أحمد الشَّيخ:

حوار الاستشراق، الأولى 1999، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة.

* بروكلمان (كارل بروكلمان):

تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحلیم النجَّار، الثانية 1968م، دار المعارف- مصر.

* بشر (كمال محمد بشر):

اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، الأولى 1999، دار غريب - القاهرة.

* خالد إبراهيم:

الاستشراق والإسلام، الطبعة الأولى 2008م، أكاديمية الفكر

الجماهيري، بنغازي.

* الدَّعَمي (محمد الدَّعَمي):

الاستشراق؛ الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، الطبعة الأولى 2006م، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت.

* الزَّيَّات (أحمد حسن الزَّيَّات):

تاريخ الأدب العربي، الطبعة المنقحة 1993م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

* شوقي أبو خليل:

أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، الأولى 1991م،

جمعية الدعوة الإسلامية - طرابلس الغرب.

* عبد الرحمن بدوي:

موسوعة المستشرقين، الطبعة الثانية 1989م، دار العلم للملايين

- بيروت.

* عبد الصَّبور شاهين:

العربية لغة العلوم والتقنية، الطبعة الثانية 1986م، دار

الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة.

* العَطَّاس (سيد محمد نقب العَطَّاس):

مدخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، الطبعة الأولى 2000م،
المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، كوالالمبور -
ماليزيا.

* العقيلي (نجيب العقيلي):

المستشرقون، الطبعة الأولى 1965م، دار المعارف - مصر.

* مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الأعداد: 7 ، 33 ، 58 ، 59 ، 86 ، 87 ، 94 ، 102 ، 106.

* محمد عبد الواحد حجازي:

المواجهة مع الاستشراق، الطبعة الأولى 2007م، مكتبة الإيمان

بالمنصورة- مصر.